المحاضرة الرابعة: التعليميات العامة والتعليميات الخاصة.

بالعودة إلى الاستعمالات الأولى لمصطلح (Didactique) يتبيّن لنا أنه كان مقترنا في أغلب الحالات بصفة ما، من مثل التعليميات التجريبية (D.Experimentale)، والتعليميات النفسية (D.Psychologique)، أوبمادة معينة كتعليميات اللّغات وتعليميات الرياضيات. وهذه الحقيقة تقوّي حجة أنه لا يمكن أن توجد تعليميات خارج مادة معينة أو حتى منهج معين، وبذلك فإن استعمال مصطلح التعليميات للدّلالة على هذا الحقل يفتقر إلى الدقّة العلمية، إذا ما قارناه بمصطلح تعليميات مادة (Didactique d'une discipline) الذي عرّفه "كلود غانيون " على أنه «**إشكالية إجمالية وديناميكية، تتضمن: تأملا وتفكيرا في طبيعة المادة الدراسية، وكذا في طبيعة وغايات تدريسها، وإعدادا لفرضياتها الخصوصية، انطلاقا من المعطيات المتجدّدة والمتنوّعة باستمرار لعلم النفس والبيداغوجيا وعلم الاجتماع...إلخ، ودراسة نظرية وتطبيقية للفعل البيداغوجي المتعلق بتدريسها**».

يعد هذا التعريف من التعريفات التي استطاعت أن تحدّد الكثير من خصائص تعليميات مادة، فأكد "غانيون" على فكرة ارتباطها بالمادة الدراسية، سواء من حيث خصائص تلك المادة أم من حيث كيفية تدريسها، وكذا انفتاحها على العلوم الأخرى، ورغم أن "غانيون" قد أضفى على تعريفه طابعا إبستيمولوجيا مكرّسا لطبيعة المعرفة، إلا أنه لم يهمل الطابع التطبيقي والتجريبي الذي تتميز به تعليميات مادة.

إن التركيز الكبير على ربط تعليميات مادة بالمادة الدراسية يجعلنا نتساءل: ألا يمكن أن توجد تعليميات عامة خارج مادة دراسية معينة أم أن التعليميات هي بالضرورة متخصّصة في تعليم مادة؟

تقتضي الإجابة عن هذا السّؤال العودة إلى المسار التاريخي الذي اتّبعته تعليميات المواد؛ فإذا كان هذا المصطلح قد تبلور في سنوات السبعينات فإن مصطلحي تعليميات الرياضيات وتعليميات اللّغات قد سبقاه نشأة وانتشارا، وهذا ما يدعّم فرضية أنه لا توجد تعليميات عامة أو بتعبير أدق تعليميات أي

مادة، لأنه ليس من السّهل تعميم ما هو خاص، ولكن يمكن استخلاص بعض التشابهات بين تعليميات المواد، وجمعها تحت ما يمكن تسميته بالتعليميات العامة، يقول "كورنو وفارنيو" في هذا الصّدد: «في الوقت الحاضر لا توجد دلائل على وجود تعليميات عامة، ولكن يمكن للمقارنة بين تعليميات المواد أن تقدّم تشابهات ونقاط التقاء، يمكن أن تسهم في وجود تعليميات عامة».

وبما أن الأمر كذلك فإن ما يمكن تسميته تعليميات هو في حقيقة أمره تعليميات(بالجمع) تتعدد بتعدّد المواد، وربما يعد مصطلح التعليميات الخاصة الذي ظهر بعد مصطلح تعليميات مادة، محاولة أخرى للتعبير عن تلك التعددية وكذلك للبحث عن تصنيف إبستيمولوجي يجمع التعليميات تحت غطاء علم واحد، أُرِيد له أن ينتمي إلى علوم التربية، فأطلقوا اسم التعليميات على الحقل العام، وميزوا فيه بين نوعين متكاملين من التعليميات هما: التعليميات العامة والتعليميات الخاصة.

-التعليميات العامة أو تعليميات مادة:(وهما مصطلحان يدلان على المفهوم نفسه) وتهتم بما هو عام مشترك للتدريس بين جميع المواد، أي القواعد والمبادئ التي يمكن أن توظّف في تدريس أي مادة أو مجموعة من المواد، ومثال ذلك مفهوم المثلث التعليمي الذي صار مفهوما مشتركا تعتمده جميع التعليميات كتعليميات الرياضيات وتعليميات الفلسفة والفيزياء واللغات.....

-التعليميات الخاصة: تختص فقط بما يتعلق بتدريس مادة معينة من خلال البحث عن الطرائق والأساليب المناسبة لتلك المادة.